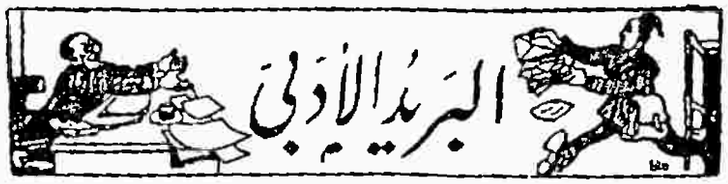

الأمير شكيب أرسلان والنشاشيبي :

أضيف هذه (الحاشية) إلى الحديث عن (أبي بكر الخوارزمي) في « الرسالة » الغراء ٦٥٧ ، القسم ٢٥ (في إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) :

يطلع العلامة الأستاذ أمير البيان الأمير شكيب أرسلان على خطبة النشاشيبي (كلمة في اللغة العربية) ، فيبعث إليه بهذا الكتاب :

أخي العلامة الأستاذ :

أهنيك بهذه الخطبة في محاسن اللغة العربية ، لا بل أهنئ هذه اللغة الشريفة بك ، وأرجو لها من خير الحافظين بقاءك . كتبت إلي مصر بأن يرسلوا لك نسخة من (حاضر العالم الإسلامي)، وعليك أن تسدل عليه ذيل الستر ، لأنه كتب وأنا أجوب في الأقطار ، ومن قطار إلى قطار ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

(مرسين ٨ حزيران ١٩٢٥) شكيب أرسلان

وينشر الأمير — بعد الكتاب — مقالة بليغة في مجلة (الزهراء) الغراء ، منها قوله :

« قرأت هذه الخطبة أولا في الجرائد ، وفتنت بها ، وأعجبت بمحاسنه من جزالة لفظ ، وبلاغة معنى ، وسداد حجة . ثم أهديت إليّ في كتاب نفيس الطبع ، بهج المنظر ، لم أرَ أليق منه قالباً لتلك الروح العالية ، ولا أبدع صدفة لهاتيك الدرة الغالية . فذ الآن أقول : إنه كتاب مع وجازته قد زخر عبابه ، ومع قلة قراطيسه قد قرطس نشابه ...

ولتهنأ العربية بهذا النصير قليل النظير ، والعاشق الساهر الليالي في رعي نجوم التحقيق والتنقير . ومع أني هجرت الشعر لم أملك نفسي أن قلت :

قد قالت اللغة الفصحى بقربتها فداحسن الله إسعافي بـ(إسعاف)
هو المجيب لمن قد بات ينشده انصر أخاك لدى ظلم وأسعافي »

ولما قرأ النشاشيبي تلك الحواشي العظيمة في (حاضر العالم الإسلامي) . أرسل إلى الأمير بكتاب جاء فيه :

« ذكرتني هذه الحواشي بقولين لإمامين : قيل لأبي بكر الخوارزمي عند موته : ما تشتهي ؟ قال : النظر في حواشي الكتب . وقال أستاذ الدنيا جار الله : الزبت مخ الزيتون ، والحواشي مخة المتون » .

فبعث الأمير إلى النشاشيبي بهذا الكتاب :

أخي الأستاذ الأجل :

شفيت غليلي بهذين الشاهدين اللذين جئت لي بهما على فائدة الحواشي ، ومن كان يقدر أن يأتي بهما غيرك ؟ لله درك ! وقد أتممت تحبير كتاب اسمه « أناتول فرانس في مباذله » ، يحتوي ترجمة كتاب لكاتب سره (روسون) ، وخلاصة آخر لصديقه (سينوبو) ، وتلخيص لتأبين أدباء فرانسة (لفرانس) يوم وفاته . ولما كان فيه من الأعلام الكثيرة والمسائل الفلسفية والاجتماعية والأدبية ما لا بد من تفسيره إعانة للقارئ الشرقي على فهم الكتاب ، فقد جاءت في هذا التأليف أيضاً حواش ، إن لم تكن على نسبة حواشي (حاضر العالم الإسلامي) : فهي حواش لا بأس بها ، وما كان أسرعني إلى تأييد وجهي في (الحواشي) إلى نقل كلام ذينك الإمامين عن الأستاذ المحقق النشاشيبي ، ولعمري لو أنجدتني بجيش بحر ومال درّ ، ما أحسست فضل تلك النجدة كما أحسست بها عند ما قرأت ذينك الشاهدين ...

(مرسين ٢٤ تموز ١٩٢٥) شكيب أرسلان

مد الله في عمر الأمير ، وأعز به دولة الأدب !

« السهمي »

تعليق على التحية « السلام عليكم » :

إلى أخي البصام :

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد ، فقد رأيتك تستغرب هذه التحية المباركة التي يهديها الرجل إلى أخيه ، وأتاك هذا الاستغراب من أن قوماً زعموا أن « القاعدة » هي أن نبتدئ الكتاب بـ (سلام عليك أو عليكم) ، بدون (ال) التعريف ، فإذا جاء الختام قلنا : (السلام عليك أو عليكم) .. وأن بدء الكتاب بقولنا (السلام عليكم) خطأ شائع في هذه الأيام ! ! الخ . واستدللت بقول الله تعالى في كتابه الكريم : « سلام عليكم طبتم ... » وقوله سبحانه : « هلام قوم منكرون » في أكثر من ثلاثين موضعاً على وجوه مختلفة . وصدق الله الذي يقول في

سورة مريم : « والسلام علىّ يومَ ولدتُ ويوم أموتُ ويوم أبعث حياً » بـ (ال) التعريف ، وصدق الله الذى يقولُ فى سورة طه لموسى وهرون : « فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى» بـ (ال) التعريف أيضاً . فلا تستغرب ياسيدى!

ولا تستغرب أيها السيد الكريم إذا علمت أن أهل القبلة جميعاً كانوا ، ولا يزالون ، وسيظلون إلى آخر الدهر ، يقول الرجل منهم إذا انتهى من سجوده وقعد للتشهد : « السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته » . ولا تستغرب إذا أنت قرأت فى صحيح البخارى فى باب (ما يتخير من الدعاء بعد التشهد ليس بواجب) : « حدثنا مسدَّد ، قال حدثنا يحيى ، عن الأعمش ، حدثنى شقيق ، عَن عبد الله قال : كنا إذا كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الصلاة قلنا : السلام على الله من عباده ، السلام على فلان وفلان . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لا تقولوا ، السلام على الله ، فإن الله هو السلام ، ولكن قولوا : التحيات لله والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين — فإنكم إذا قلتم أصاب كل عبد فى السماء ، أو بين الأرض والسماء — أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله . ثم يتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو». وكذلك فى باب (التشهد فى الآخرة) من صحيح البخارى

ولا تستغرب ياسيدى أيضاً إذا مر بك وأنت تقرأ فى مسند أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٤٣٩ من حديث عمران بن حصين : « أن رجلا جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : السلام عليكم، فرد ، ثم جلس فقال (يعنى رسول الله) : عشرٌ . ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، فرد ، ثم جلس، فقال : عشرون . ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فرد ، ثم جلس ، فقال : ثلاثون » . أقول : يعنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : عشر حسنات ، وعشرين حسنة ، وثلاثين حسنة . وكل ذلك بـ (الـ) التعريف أيضاً .

ولا تستغرب يا سيدى إذا رأيت فى مادة (سلم) من لسان العرب :« ويقال السلام عليكم ، وسلام عليكم ، وسلام ، بحذف عليكم . ولم يرد فى القرآن غالباً إلا منكّراً .. فأما فى تشهد الصلاة ، فيقال فيه معرَّفاً ومنكّراً ... وكانوا يستحسنون أن يقولوا فى الأول : سلام عليكم ، وفى الآخر : السلام عليكم ، وتكون الألف واللام للعهد ، يعنى السلام الأول » . ومن هنا أنى من لا يُحسن العربية ، وقلّ اطلاعه على كتبها وفقهها . والاستحسان هنا منصبٌّ على ما كان فى التشهد . فإنه ، كما ترى ، عنى بالأول ، ما كان فى التشهد ، وبالآخر السلام الذى يُخرجُ به من الصلاة . وهذا شىء قال به بعض فقهائنا وأئمتنا استحساناً من عند أنفسهم أو مما رووا .

ولا تستغرب يا سيدى إذا وقفتَ يوماً على قول الأخفش : « ومن العرب من يقول : سلام عليكم ، ومنهم من يقول : السلام عليكم .. فالذين ألحقوا الألف واللام حملوه على المعهود ، والذين لم يلحقوه حملوه على غير المعهود » . ثم عاد فقال : « وفيهم من يقول : سلام عليكم ، فلا ينوّن » ؛ ثم ذكر العلة فقال : « حمل ذلك على وجهين : أحدهما حذف الزيادة من الكلمة كما يُحذف الأصل على نحو « لم يك » ؛ والآخر أنه لما كثر استعمال هذه الكلمة ، وفيها الألف واللام ، حذفا لكثرة الاستعمال ، كما حذفا من اللهم فقالوا : لُهمّ » . وكأنه جعل « السلام عليكم بالتعريف هى الأصل الذى كثر استعماله » .

فلا تستغرب إذا نظرت فرأيت أن الذى جاء فى مقالتى ليس خطأ ولا مجاراة على خطأ . ولا تستغرب إذا أنا قلت لك : إن أدعياء اللغة إنما يؤتون من سوء التقدير لما يقرأون ، ومما انطوت عليه قلوبهم من حب التعالم على الناس بشىء يدعونه ويلتمسون له الحجة ، حتى ما يدرك أحدهم فرق ما بين « سلام عليك » و « سلام » و « سلاماً » ، كما جاءت فى كتاب الله فى أكثر من ثلاثين موضعاً ، وبين ما جاء فى كتاب الله أيضاً من قوله : « والسلام على من اتبع الهدى » ، وقول رسول الله الذى تلقاه المسلمون عنه فى تشهد الصلاة وفى التحية .

واعلم يا سيدى أنى قنعت لك ولنفسى وللناس بالنقل مجرداً ، ولم أتبعه ببيان الفروق فى المعانى ، وما ينبغى وما لا ينبغى ، ولا تحرّيت لك ولا للناس أن ألج بهم موالج فى دقيق العربية وغامضها تدل على أن من نقلتَ أنتَ عنه هذا القول قد تحمّل وتهجّم على ما لا علم به ، وعلى ما لا يحسنه ولا يجيده !

فلا يغرنّك التبجح بالعلم ، ولا تقنع من المتحذلقين بما يسمونه « القاعدة » ، فلعلها باطل مزور ، وكذب مختلق ، واجتراء على العربية هى من سوآته براء ، ولعل دليلهم يكون هو الدليل على بطلان ما يزعمون كما رأيت . وفى هذا مَقنع وهدًى .

والسلام عليكم ورحمة الله .

محمود محمد شاكر